مساوئ اختلاط الدين بالسياسة في التجربة الامريكية:

المحافظون الجدد سيكونون كارثة على امريكا والعالم

غازي صلاح الدين العتباني*

■ أصبح النيوكونز مصطلحاً شائعاً في السياسة الأمريكية ولذلك نورده كما هو. وهو اختصار للكلمة الإنكليزية «نيوكنسيرفتفز» أي «المحافظون الجدد»، ذلك التيار السياسي الذي جاء بالرئيس ريغان عقب الإهانة التي لحقت بالأمة الأمريكية في عهد الرئيس كارتر في قضية الرهائن. ثم جاء النيوكونز بعد ذلك بالرئيس بوش الأب، ثم بالرئيس بوش الابن.

هم زمرة متشددة تقبس من عقائد الصهيونية المسيحية التي ترقب النزلة الثانية للمسيح، فهم لذلك في حلف مع الصهيونية الصريحة التي تقبس بدورها من عقائد اليهود الذين ما زالوا بانتظار النزلة الأولى للمسيح. كل واحد يعرف ما يدور في ذهن الآخر، ويعلم أن المنتظر في العقيدة الأولى ليس هو المنتظر في العقيدة الثانية، ولكن تتدخل حسابات الربح المؤقت لتبيح زواج المتعة بين الطرفين المتغايبين لغاية مرقوبة يختصمان بعدها. وإلى ذلك الحين، أي حين يختصمان، ينبغي أن يجري نهر التاريخ ويكتب النصر على جبابرة الأرض المقدسة من العرب ومن لف لفهم.

من أعلام النيوكونز رامسفيلد، وزير الدفاع، معروف؛ ومنهم وولفويتز نائبه السابق، معروف أيضاً؛ ومنهم كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية. هؤلاء هم بعض مهندسي السياسة في البيت الأبيض ومتعهدي غزو العراق ومن حذا حذو العراق.

قبل فترة قريبة زارت السيدة رايس بريطانيا وطافت مع حليفها وزير الخارجية البريطاني دائرته وقالت كلاماً وكلاماً. ومن ضمن ما قالته «ان الولايات المتحدة الأمريكية ارتكبت في العراق آلاف الأخطاء..... التكتيكية». بحكم تجربتي ومعرفتي بتحريفات الإعلام راجعت نصوص كلامها حرفياً ووجدت الكلام كما نقل فعلاً: أن الولايات المتحدة ارتكبت آلاف الأخطاء التكتيكية في العراق. ومصدر دهشتي هو أن السياسي نادراً ما يتواضع ليعترف بأخطائه. أما أن يعترف بها بهذا الحجم فلا بد أن يكون الأمر جللاً. وإذا بلغت التعاسة بالسياسي أن يعترف طائعاً بارتكاب آلاف الأخطاء التكتيكية في حالة واحدة هي العراق فمن الحكمة وحسن الحيطة أن نفترض أنه في الحقيقة قد ارتكب مئات الآلاف من الأخطاء في غيرها. وإذا كان قد ارتكب هذا الكم الهائل من الأخطاء التكتيكية فلا بد أنه ـ وإن لم يعترف ـ قد ارتكب مئات الأخطاء الاستراتيجية أيضاً.

سيظل ذلك الاعتراف المعزول من وزيرة خارجية النيوكونز ذا دلالة هامة، برغم أنه لا رئيسها ولا أقرانها في البيت الأبيض ووزارة الدفاع يتبنون اعترافها. أو قل بسبب ذلك الاختلاف بينهم في الأحكام نفسه، إذ ما زال الرئيس بوش يصر على أن قراره بغزو العراق قد جلب لذلك البلد الحرية والرفاهية وأنهما، أي الحرية والرفاهية على ذات الشاكلة، هما وعده الميمون لبلاد الشرق الأوسط الكبير ـ أي العالم الإسلامي بتعريف آخر.

لكن الدارس لحالة النيوكونز يلمح في تصريح وزيرة الخارجية مغزى أعمق مما يتبادر إلى الذهن من تفسيرات تفترض حالة من الفيضان الداخلي العارم لفضيلتي الصدق والمكاشفة لدى وزيرة الخارجية دفعتها إلى ذلك الاعتراف. إنها تكشف في الحقيقة عن حالة هزيمة داخلية وتراجع نوعي في ظاهرة النيوكونز. تصريح وزيرة الخارجية مهم للاستدلال على شروخ خطيرة في حركة النيوكونز، وتراجع شعبية بوش إلى أدنى من 40 % لدى الشعب الأمريكي معيار آخر مهم على تلك الشروخ، ودبيب الفساد في البيت الأبيض وإقالة بعض موظفيه لتلك الأسباب مؤخراً مؤشر ثالث. لكن أهم المؤشرات هو الانسحاب المنظم للعرابين الفكريين للنيوكونز وتصاعد ظاهرة التبرؤ من سياساتهم ومرجعياتهم الفكرية.

هناك مفارقات تاريخية ظلت ملازمة للتطور الأمريكي منذ أن حل في أرض أمريكا الحجاج الأوائل من إنكلترا على ظهر السفينة «ماي فلور» عام 1620، وما تلاها من هجرات أخرى شبيهة أكسبت المجتمع الأمريكي خصائصه الراهنة. جاء أولئك المهاجرون يحملون عقيدة بروتستنتية متشددة صبغت أفكارهم وأفعالهم وأكسبتها الغطاء الأخلاقي والشرعي. ولما كانت العقيدة البروتستنتية أشد ارتباطاً فكرياً وعاطفياً بالعهد القديم من الإنجيل وما فيه من قصص اليهود، أكثر من ارتباطها بالعهد الجديد، فقد تسللت إلى تابعيها مفاهيم كثيرة وروابط وجدانية يهودية. وعلى ذلك قيست مبررات الحملة من أجل مهمة إبادة سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر) على الأمر الرباني، بحسب العهد القديم، الملوك بني إسرائيل بإبادة الكنعانيين واليبوسيين ومن جرى مجراهم من ساكنة الأرض المقدسة الأوائل. شكلت تلك المهمة لدى الكثيرين من أولئك واجباً دينياً أكثر من كونها مصلحة دنيوية عرضية. منذ ذلك الحين اختلط الدين والسياسة في التجربة الأمريكية كما لم يختلطا في تجربة أخرى. وبخلاف ما يظن الكثيرون فإن مفهوم العلمانية في السياسة الأمريكية لم يوظف في وقت من الأوقات لحماية الدولة من الكنيسة؛ بالعكس من ذلك تماماً، وظف لحماية الكنيسة من الدولة، أما الدولة فقد ظلت مكشوفة الظهر أمام الكنيسة كلما اعتلت السلطة جماعة منظمة ذات إيديولوجية دينية مثل النيوكونز.

وجه المفارقة المشار إليه آنفاً هو أن التجربة الأمريكية كانت وما تزال على مستوى مجتمعها ومؤسساتها تقود، من موقع متقدم للغاية، مهمة التحديث وتوفر الطفرات العلمية الكبرى في مجال العلوم والتقانة، وبصفة خاصة علوم استكشاف الفضاء والبحار وطبقات الأرض، وتقفز بالإنسانية قفزات بعيدة في علوم الحاسوب واستخداماته المتطورة للغاية. وبرغم تلك الصبغة العلمية المستكنة في المجتمع ومؤسساته وجامعاته ومراكزه البحثية إلا أن الدولة الأمريكية بالمقابل ظلت دائما معرضة لأن يتحكم فيها ساسة مهووسون تسيرهم الأساطير التوراتية. المفارقة ناشئة إذن من حقيقة أن السياسة الأمريكية ـ الخارجية بالذات ـ تتحدد، لا بحسابات علمية توازي الجهد التحديثي العظيم الذي يضطلع به المجتمع ومراكز البحث والعلم، ولكن ببعض أساطير مثل قصة الهرمجدون (جبل مجيدو بالعبرية) حيث تكون الموقعة النهائية بين الشر والباطل بحسب النبوءات الكارثية لسفر الرؤيا أو ما يسمى «الأبوكاليبس». وقد يجد بعض الناس ذلك مستغرباً وبعيدا عن التصديق، لكن واحداً من أهم دوافع غزو العراق لدى بعض صناع القرار في إدارة بوش وأنصاره كان هو استدعاء الهرمجدون التي ستكون علماً لآخر الزمان بعد أن يجتمع اليهود في أرض فلسطين (أرض إسرائيل بحسب زعمهم). وليس مهما في هذه الأثناء الاتفاق أو الاختلاف على أن اجتماع اليهود في أرض فلسطين هو من أجل استقبال المسيح في مقدمه الأول الذي يقول به اليهود أم في مقدمه الثاني الذي يقول به المسيحيون الصهاينة. ما يهم هو أن ينزل على أية حال أو يستنزل باصطناع الشروط لنزلته. هذه الأفكار تقود اليوم السياسة الأمريكية، لا على مستوى البيت الأبيض فحسب، حيث ثلة محدودة من الساسة، ولكن على مستوى الكونغرس أيضاً حيث المئات من المشرعين.

الناتج النهائي لهذه الأخاليط هو عقيدة عسكرية عدوانية تتدثر بالمسيحية، وإن كانت في حقيقتها تخالف الطبيعة المسالة للمسيحية الحقيقية مخالفة أساسية. هي في الحقيقة حالة هتلرية جديدة تتصل جذورها، لا بالعقيدة المسيحية الحقة، ولكن بلوثة الغزو والاستعمار المركوزة في الحضارتين الهيلينية والرومانية، وبعقيدة الاستهلاك النهم في الحضارة المادية المعاصرة التي تستبيح سرقة ثروات الشعوب، لكنها، لضعفها الأخلاقي، تسعى لاكتساب المشروعية بادعاء الانتساب للمسيحية.

أشرنا إلى أن الشروخ الحقيقية في جدار حركة النيوكونز لا تتمثل فقط في الاعتراف المدهش لأحد رموزها بارتكاب آلاف الأخطاء في بلد واحد وفي فترة لا تتجاوز الثلاث سنوات. الشروخ الحقيقة هي في تراجع قناعات الموجهين الفكريين لتلك الحركة. وأحد أهم هؤلاء هو المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما صاحب الكتاب المشهور الصادر في بداية التسعينات باسم «نهاية التاريخ والرجل الأخير». فرانسيس فوكوياما له كتب عديدة ومقالات مهمة في صياغة الفكر السائد الآن بين النيوكونز، لكن كتابه المذكور نال من الصيت ومن الخلاف ما لم ينله غيره. ومن الأفكار المستغربة حقاً في ذلك الكتاب هي الزعم بحتمية انتصار الرأسمالية الليبرالية حتى وإن كان انتصاراً بآليات ماركسية. هناك تشابه واضح بين الحتميات التاريخية في الفلسفتين النقيضين: حتمية انتصار البروليتاريا في النظرية الشيوعية وحتمية انتصار الرأسمالية الليبرالية في نظرية نهاية التاريخ لدى فوكوياما، كلاهما نهاية للتاريخ وإن اختلف الناتج. لقد رأيت في ذلك تناقضاً جذرياً مع فكرة الليبرالية وآمنت بأن الزمان سرعان ما سيكذب فوكوياما. لكنني لم أتصور أن يكذب هو نفسه بنفسه بهذه السرعة قبل أن تكذبها أحداث الزمان. إذ يبادر فوكوياما الآن إلى نفي هذه التهمة بزعمه أنه لم يقل بالحتمية التاريخية لليبرالية الرأسمالية، ولكنه قال بحتمية التطلع إلى الحداثة والتمدين لدى الإنسان وهو الدافع الذي يقود بصورة طبيعية إلى خيار الليبرالية الرأسمالية حتماً، وفي الحقيقة لا أستطيع تبين الفارق.

فوكوياما أصدر مؤخراً كتابه «أمريكا في مفترق الطرق» وأعلن فيه الاعترافات التالية: «بما أنني ظللت أعد نفسي من المحافظين الجدد، فقد ظننت أنني شاركتهم آراءهم في السياسة العالمية، بمن في هؤلاء أصدقاء ومعارف خدموا في إدارة الرئيس بوش»، ثم يمضي ليعلن: «إن مذهب المحافظين الجدد، كرمز سياسي وفكر سياسي، قد تحول إلي شيء لا يمكنني تأييده»، وان «اللحظة التاريخية للنيوكونز تبدو وقد فاتت».

لقد قامت الفلسفة السياسية لليمين الديني كما يتبناها النيوكونز، وكما عبرت عنها أفضل تعبير إدارة الرئيس ريغان، علي تخفيض الدولة المركزية. والسبب في ذلك راجع إلى نفور مذهبي لدى اليمين الأمريكي عموماً تجاه منهج الهندسة الاجتماعية، وهو المنهج الذي تتبناه في العادة الحكومات الشيوعية والاشتراكية والحكومات ذات الصبغة الأيديولوجية مثل الفاشية والنازية. ويستند مبدأ الهندسة الاجتماعية إلى أن عملية التحول التاريخي في المجتمعات يمكن الإسراع بها من خلال قوة السلطان، وهو ما يمكن تسميته المقدرة التحويلية لقوة السلطان أو إعادة صناعة العالم.

إن اعتراض المعترضين علي منهج الهندسة الاجتماعية ونظرية المقدرة التحويلية لقوة السلطان يستند إلى ما أثبتته التجربة التطبيقية في الاتحاد السوفييتي السابق والمنظومة الاشتراكية، وفي التجربتين النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا، أن الهندسة الاجتماعية تؤدي في المحصلة النهائية إلي نتائج معاكسة للأهداف المثالية التي اتجهت النظرية في البداية لتحقيقها، الشيء الذي يزيد من معاناة الشعوب ويقصّر بالجماعة المتبعة لذلك المنهج عن بلوغ غاياتها المنصوبة.

هذا الاعتراض لم يصدر ممن يتبنون الفلسفة الليبرالية وحدهم وإنما سبق إلي تبنيه بعض من نشأوا في حاضنة الماركسية أيضاً. هؤلاء يمثلهم خير تمثيل تروتسكي الذي عبر عن رفضه وضيقه الشديدين بالنتائج العملية للينينية الستالينية وما أحدثته من مآس اجتماعية عندما استخدمت قوة الدولة السوفييتية من أجل إجراء هندسة اجتماعية، فعادت في النهاية بالوبال لا على الدولة وحدها ولكن على الشيوعية كفكرة مثالية.

اللينينية الستالينية تقول بأنه يمكن دفع عملية التحول التاريخي من خلال استخدام قوة السلطان للإسراع بالشروط التاريخية اللازمة لتحقق الخواتيم الحتمية للشيوعية. يمكن هنا ملاحظة الشبه بين مفاهيم اليمين الديني الذي يعبر عنه «النيوكونز» وبين اللينينية الستالينية في تبنيها لمبدأ الدفع الخارجي لحركة التاريخ. وهذا هو الأساس الفكري لعملية غزو العراق ومحاولة فرض ديمقراطية ما عليه، وهو الأساس الفكري أيضاً لمشروع الإصلاح الديمقراطي في الشرق الأوسط الكبير من خلال وسائل قوة وعسف قد تعني أحيانا الاحتلال العسكري لفرض الإصلاح. يقول فوكوياما لقد اعتبرت تلك الرؤية أن الديمقراطية الأمريكية هي الوضع الطبيعي والمريح للشعوب، وأنه لا يحول بينهم وبينها إلا قمع الحكومات التي تسوسهم، وأنه ما أن تزال تلك الحكومات حتى تثوب الشعوب إلى الوضع الطبيعي والمريح وهو خيار الديمقراطية ذات الماركة الأمريكية.

يرى فوكوياما انه من المفارقة أن أتباع اليمين الديني كما يمثله النيوكونز وقعوا في ذات الخطأ الذي حذروا من الوقوع فيه تاريخياً وذلك بتبنيهم لفكرة الاستخدام الأخلاقي للقوة الأمريكية كما يمثلها العراق كحالة نموذجية. وبتبنيهم لفلسفة الهندسة الاجتماعية خارج الولايات المتحدة الأمريكية من خلال دعوتهم لإصلاح الشرق الأوسط الكبير بالقوة إذا لزم الأمر.

لقد أساء النيوكونز التقدير مرة بتبنيهم لفكرة المقدرة التحويلية لقوة السلطان بهذا الوصف، ومرة ثانية بافتراض أن الولايات المتحدة هي وحدها المالك الأخلاقي لحق تغيير العالم، وأخطأوا مرة ثالثة في تقدير ردة فعل العالم عامة، والعالم الإسلامي خاصة، لسياساتهم ومشاريعهم التي تبنوها. لقد كانت نتيجة تلك السياسات انتشار العداء لأمريكا في العالم كله كما عبرت عنها الأزمة مع فرنسا وألمانيا حول غزو العراق، وكما أثبتتها نتائج انتخابات دول أمريكا اللاتينية التي تتداعى الآن إلى معسكر معاداة أمريكا بقيادة فنزويلا وبوليفيا والآن بيرو، وكما أثبتها تقدم القوى الإسلامية في الانتخابات المصرية والباكستانية والانتصار الذي حققته حماس في الانتخابات الفلسطينية، وأخيرا هناك المواجهة الراهنة مع إيران في المسألة النووية التي تبدو خاسرة ومحرجة في آن. لقد أساء النيوكونز فهم التاريخ وكيفية عمل سننه وأخطأوا التقدير بنحو لم يسبقهم إليه أحد.

هذه هي الملاحظات المهمة التي ينبغي لدارس التاريخ أن يتوقف عندها. أي هذه الموافقات غير المتوقعة بين المفاهيم الشيوعية التي نمت في ظل التجربة السوفييتية وبين الفكر السياسي للنيوكونز. يتمثل ذلك في الطابع الإيديولوجي الجامد الذي ينطلق من بواعث دينية كما يعبر عنها عتاة الإيفانجيليين أمثال بات روبرتسون وجيري فالويل (فلنتذكر الطابع الديني للماركسية في تبشيرها بجنة دنيوية)؛ ويتمثل في التحول الجذري من مبدأ تخفيض الدولة إلى تضخيم الدولة من خلال منهج الهندسة الاجتماعية واستخدام القوة التحويلية لقوة السلطان (فلنتذكر أن الشيوعية أيضاً بشرت بزوال الدولة تماما في الصيرورة النهائية للتاريخ). ويتمثل حتى في المشابهة بين الشخصيات والأحداث، حيث لن يكون بعيداً عن الواقع إجراء المقارنات بين منظري اليمين الديني عامة وبين إنجلز وماركس، كما لن يكون مستغربا المقارنة بين بوش وتشيني ورامسفيلد من ناحية وبين لينين وستالين ودريزنسكي من ناحية أخرى.

إذا أخذنا بتلك المقارنات كأرضية افتراضية فليس هناك ما يقف دون التفكير المقارن في مآلات الوضع الأمريكي الراهن قياساً إلى التجربة السوفييتية. هنالك الافتراض الذي أراه صحيحاً وهو أن الاتحاد السوفييتي قد انهار لأسباب إيديولوجية واقتصادية. أما الأسباب الإيديولوجية فقد تمثلت في المفارقة المضطردة بين الشيوعية المثالية وبين التطبيق العملي لها، وهو الشيء الذي أدى إلى التآكل التدريجي لمشروعيتها في النفوس؛ لتلك الأسباب كانت الجماهير التي خرجت للإجهاز على الدولة السوفييتية هي من ذات الأجيال التي تربت في حاضنة الشيوعية على مدى سبعين عاما. وأما الأسباب الاقتصادية فقد تمثلت في الإنفاق المتضخم للدولة في مشروعات الهندسة الاجتماعية وفي المشروعات العسكرية التي وظفت للمحافظة على النفوذ السياسي للاتحاد السوفييتي، وقد كان التدخل في أفغانستان هو الحالة النموذجية لتلك السياسة وإن لم تكن الحالة الوحيدة.

من السذاجة أن نخلص من هذا إلى أن أمريكا تنحدر بسرعة نحو ذات المصير الذي انتهى إليه الاتحاد السوفييتي فالتاريخ لا يعيد نفسه بطريقة واحدة، وأوجه المخالفة بين الحالة الأمريكية والحالة السوفييتية كثيرة أيضاً، والمجتمع الأمريكي ما يزال يمتلك قدرة كبيرة على الإبداع وعلى تجديد نفسه. لكننا يمكن أن نستنتج بيسر أن النيوكونز كظاهرة انحطاط استثنائي في السياسة الأمريكية ستفسح الطريق سريعاً أمام تيار جديد ينشأ من المعطيات الحيوية التي تشكل اللحظة التاريخية في أمريكا اليوم. هذه المعطيات تتبلور من حقائق عدة بعضها لا نملك التأثير عليه وبعضها يمكننا التأثير عليه وتوظيفه. أما المعطيات التي تجري أمامنا ولا نملك تغييرها أو إيقافها فهي تحول العالم بسرعة من القطب السياسي الأوحد إلى الأقطاب المتعددة، وهي نمو قوى جديدة اقتصادية غالباً كما في حالة جنوب شرق آسيا، أو اقتصادية وعسكرية كما في حالة الصين والهند، أو عسكرية غالباً كما في حالة إيران. ومن تلك المعطيات أيضاً بروز تعددية ثقافية وسياسية داخل المجتمع الأمريكي تبشر بتغيير موازنات القوى القديمة خلال العقود القادمة وبكسر احتكارية الثقافة الأنجلوبروتستنتية التي حكمت أمريكا لأكثر من قرنين. وأما الذي نملك التحكم فيه فهو قراءة المجتمع الأمريكي قراءة صحيحة واكتشاف فرص التحالفات القابلة للبناء داخله لأن المعركة كما يقول فوكوياما نفسه هي معركة طويلة بلا بدايات ونهايات واضحة وبلا خطوط قتال معلومة. إنها في الأساس معركة رؤى وأفكار.

ما يهمنا نحن في الدول النامية عموماً يذكرنا به عنوان هذه المقالة الذي يأخذ من المثل القائل «يتعلمون الزيانة في رؤوس اليتامى». إن الوقائع العملية تثبت كل يوم أن النيوكونز كانوا وبالا على أمريكا قبل أن يكونوا وبالاً على غيرها، وأنهم لم يكونوا جديرين بأن تسند إليهم مهمة إدارة شركة، دعك من إدارة دولة بحجم الولايات المتحدة وإمكاناتها، ودعك من إدارة العالم. هذه الحقيقة تفرض نفسها بإلحاح وتضطرد على مدار اليوم، وهي حقيقة يصدقها التراجع المحرج لشعبية الرئيس بوش، والمحاصرة المستمرة لوزير دفاعه، بل والتصريحات المدهشة حقاً لوزيرة خارجيته. وإذا كان هذا حال أبناء البلد من الأمريكان الذين أسلموا رؤوسهم لتجاريب النيوكونز فإنهم قد فعلوا ذلك على مسئوليتهم وليس هنالك ما يدعونا نحن، في سعينا لتحقيق الإصلاح السياسي، لتسليم رؤوسنا لزيّان أخرق.

* مستشار رئيس الجمهورية
ورئيس كتلة الأغلبية بالبرلمان السوداني

انتهى الأمر... لقد حصل الاختراق: إيران نووية منذ الآن

زكريا محمد*

■ سوف يمضي وقت طويل قبل أن يُعترف بهذه الحقيقة البسيطة علنا: إيران صارت قوة نووية. انتهى. ليس لأحد مصلحة في قول الآن ببساطتها ووضوحها قريبا. لذا لا تنتظروا أن يقولها أحد قريبا بغير الطريقة التي قالها الرئيس الإيراني. إنها طريقة موارية قليلا، لكنه شديدة الوضوح لمن يريد أن يفهم. وقد فهمها كل المهتمين فعلا. لكن ليس لأحد مصلحة في أن يعلن النبأ بكل وضوحه:

ليس لإيران مصلحة في أن تقول أكثر مما قالت، حتى لا تسهل للأمريكيين عزلها، بعد أن أصرت دوما على أن برنامجها ذو طابع سلمي. إسرائيل أيضا فهمت وأدركت. لكنها بحاجة إلى الوقت كي ترى إن كان بإمكانها أن تفعل شيئا، وكي تمكن جمهورها من ابتلاع هذه الحقيقة المرة، إن لم تكن قادرة على فعل شيء. الولايات المتحدة فهمت هذا، لكنها هي الأخرى بحاجة إلى الوقت كي تفهم المدى، وكي ترى إن كان هناك ما يمكن عمله.

المملكة العربية السعودية هي الأخرى فهمت، في ما يبدو. لذا فقد أرسلت وزير دفاعها إلى باكستان، لكي يعرف بالضبط ما الذي أعطاه (قدير خان)، أبو القنبلة النووية الباكستانية المنبوذ، لإيران، ولكي يناقش مع مشرف الغطاء النووي الباكستاني لدول الخليج. غطاء نووي ضد إيران لا ضد إسرائيل. فالقنبلة النووية الباكستانية لا تكون أبدا غطاء ضد إسرائيل. وهذا باب رزق جديد للجنرال مشرف، سوف يدر عليه المليارات.

لكننا نحن البسطاء نأمل أن يكون وزير الدفاع السعودي قد ذهب إلى هناك وفي رأسه أيضا مشروع نووي عربي ـ خليجي. نحن نشك في ذلك لكننا نأمل فيه، ليس ليكون موجها ضد إيران، بل ليكون نقطة توازن مع إسرائيل.

ولا بد أن القادة العسكريين المصريين قد فهموا الإعلان الإيراني. ولا بد أنه سيزيد من غضبهم على طريقة نظامهم في التعامل مع هذه المسألة. لقد جعلهم يلهثون خلف الركب، بعد أن كانوا في بدايته في ستينات القرن الماضي.

الصين وروسيا فهمتا هذه الحقيقة. وهما ليستا غاضبتين على إيران. ليستا غاضبتين بالمرة. على العكس، فهما الأكثر سعادة بالإعلان الإيراني. فإيران نووية ستعطيهما نقطة قوة في الصراع ضد امريكا وأوروبا.

فبالنسبة للصين سيعني أن حصتها من النفط مؤمنة، وأن أمريكا لن تتمكن من خنقها ووقف نموها في المستقبل. وبالنسبة لروسيا فهي ستضمن لها حليفا قويا على بحيرة النفط، بما يمكنها أن تكف عن أن تبدو كجرو صغيرا ينبح عند قدمي أمريكا.

إيران صارت قوة نووية.

هذه هي الحقيقة أيها السادة. هذه ليست مزحة من مزح صدام حسين. لا، ليست إيران بهذا الغباء كي تمزح هذه المزحة. لقد مضى زمن المزاح. هذه الحقيقة ستؤدي إلى إعادة صياغة العلاقات في المنطقة، وسوف تترك تأثيراتها على العلاقات الدولية. فإيران ليست كوريا الشمالية. إنها دولة تربض فوق حافة بحيرة النفط العظمى. وإن نجحت وتمكنت من النجاة بإنجازها الكبير ستتحول إلى قوة ذات مدى دولي.

إيران قوة نووية. ليس بعد سنتين أو ثلاث، بل منذ الآن.

هذه هي الحقيقة التي سنعيش معها في هذه المنطقة منذ الآن. وعلينا أن ننغمس في تقدير انعكاساتها على الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وعلى مجمل أوضاع المنطقة. لا يجوز أن ندفن رؤوسنا في الرمال، وأن نتجاهل هذه الحقيقة العظمى. لقد رمت إيران حجرها الكبير في البركة، وسوف تتكون الدوائر وتتسع: إسرائيل ستفقد الأمان النووي. سوف تتعرض، ويتعرض جمهورها، للقلق النووي الذي تعرض له العرب طوال الأربعين سنة الماضية. والعرب، عرب مصر والسعودية خاصة، سوف يكونون أمام خيارات صعبة. فمصر إما أن تعيد نفض كسلها وذلها وخوفها، وإما أن تداس بين الأرجل. والسعودية، ومن حولها من دول الخليج، إما أن تبحث عن ضمان تحويل المظلة النووية الباكستانية ضد إيران، أو أن تحلم بضربة إسرائيلية ـ امريكية تريحها من إيران الإسلامية، أو أن تبحث عن قنبلة نووية عربية.

لكن لو أن الخيار الأخير مطروح على جدول أعمالها، لكان على وزير الدفاع السعودي أن يذهب إلى القاهرة، وأن يقابل العسكريين المصريين، كي يقول لهم: أيها السادة، لقد تأخرنا كثيرا، وصارت الأمور خطرة، فكم سيكلفنا مشروع مظلة نووية عربية، وكم سيحتاج من الوقت؟ لا نظن أن وزير الدفاع السعودي سيفعل هذا. لن يفعل هذا، كما علمتنا التجربة. ففي الثمانينات والتسعينات كانت بلاده مشغولة بتمويل قنبلة باكستان النووية ضد الهند. كانت تفكر بالهند لا في إسرائيل!

غير أننا نعتقد أنه منذ الآن سيكون مشروع مظلة نووية عربية مطروحا بقوة في عقل أي ضابط مصري أو سعودي جدي يفهم منطقته وعالمه، ولديه احترام لذاته ولتاريخه وثقافته. لذا شكرا لنجادي. شكرا لإيران. شكرا لها لأنها كسرت المحرم، وفتحت الباب لنا لكي نصحو.

* شاعر وكاتب من فلسطين

هل تصبح امرأة رئيسة لفرنسا؟

د. محمد عجلاني*

■ من المتعارف عليه ان المرأة الفرنسية دخلت بشكل متأخر المعترك السياسي، فهي لم تمنح حق التصويت الا في عام 1945، اي بعد جمهورية تونس، وكان في منتصف القرن الماضي ومن النادر جدا ان تجد في فرنسا امرأة في مراكز مرموقة او مناصب عليا، وكان على المرأة الفرنسية ان تناضل من اجل حقوقها السياسية لكي تنال قسطا منها مع احداث ثورة عام 1968، ولكي تدخل ميدان السياسة المقتصر على الرجال، وتبوأت المرأة السياسية مناصب وزارية مهمة مع نهاية حكم بومبيدو عام 1974، وبداية حكم جيسكار ديستان الذي خصص ثلاثة مقاعد وزارية للنساء، كان من اهمها منصب السيدة سيمون فيل التي اقرت قانون الاجهاض في بلد كاثوليكي ووقفت بقوة ضد التيارات المحافظة والمتشددة في ذلك الوقت وهو ما عرف بقانون فيل للاجهاض في عام 1975.

كذلك عهد جيسكار ديستان الى السيدة سونييه بوزارة التعليم العالي والجامعات واصبحت هذه السيدة المتعلمة والمثقفة من اشد المقربين الى الرئيس جيسكار.

ومع وصول الرئيس ميتران الاشتراكي الى الحكم في عام 1981، قرر هو الاخر اعطاء مناصب وزارية للنساء كان بالطبع من اهمها منصب التجارة الخارجية والشؤون الاوروبية الذي تولته ايديث كريسون لتصبح بعدها رئيسة لوزراء فرنسا في عام 1991، وهي اول مرة تصبح امرأة رئيسة لوزراء فرنسا، ولكنها لم تستطع ان تعمر طويلا في هذا المنصب ومكثت بضعة اشهر استعاد فيها الرجال زمام الامور.

وعندما نستعرض سيرة النساء في فرنسا ونضالهم السياسي يجب ان لا ننسى ان هناك شخصيات فكرية لامعة في مجال الادب والمسرح والفكر كالكاتبة فرانسواز ساغان وكذلك المفكرة والكاتبة فرانسواز جيرو التي كان لها دور كبير في تأسيس مجلة «الاكسبريس»، بدون ان ننسى الوجوه الاعلامية البارزة كالاعلامية ان سانت كلير وكذلك ميشيل كوتا التي تسلمت رئاسة المجلس الاعلى للاتصالات، وبدون ان نتجاهل بالطبع مارتين اوبري وزيرة العمل الاشتراكية التي مررت قانون العمل الذي بموجبه خفضت ساعات العمل من 39 ساعة اسبوعيا الى 35 ساعة بدون اي اعتراض من طرف النقابات على عكس ما يحصل اليوم بالنسبة لرئيس الوزراء الحالي دوفيلبان.

شيراك بدوره راهن على المناصب الوزارية للنساء ومنح جوبيه رئيس وزرائه حوالي عشرة مناصب وزارية للنساء ولكن ليقبل ستة منهن دفعة واحدة بعد مرور اشهر على تشكيل وزارته.

ويبقى تمثيل النساء في البرلمان الفرنسي اقل بكثير مما عليه الحال في دول اوروبية اخرى، ربما تكون الثقافة اللاتينية والمتوسطية وحتى الكاثوليكية وراء تلك الاسباب.

اليوم، تطالعنا الصحف ووسائل الاعلام بوجه جميل وجذاب لسيدة انيقة ترأس اقليما مهما يقع في جنوب غرب فرنسا انتزعته انتزاعا من خصمها السابق بيير رافران رئيس وزراء فرنسا السابق.

السيدة المذكورة هي سيفولين رويال، ورويال تعني الملكية باللغة الفرنسية وهي زوجة سكرتير الحزب الاشتراكي الحالي فرانسوا هولاند، وبالاضافة الى كونها عضوة فعالة داخل الحزب الاشتراكي، ونائبة في البرلمان الفرنسي، ورئيسة اقليم الا انها تتمتع بجاذبية وبتواضع وحسن استخدام التعابير السياسية، والاهم من كل هذا وذاك انها اولت اهتماما خاصا لمشاكل الاسر الفرنسية ولمشاكل التعليم اثناء عملها في وزارة السيد اليفر الذي اختارها كمساعدة له اثناء توليه وزارة التعليم.

وسيفولين تتمتع بنقاط قوة من اهمها:

1 ـ انها اول امرأة تحقق فوزا كاسحا في انتخابات اقليمية حتى في معقل اليمين المحافظ.

2 ـ انها امرأة جذابة وجميلة، والمظهر الخارجي يلعب دورا كبيرا في ثقافة الفرنسيين، ففرنسا تعشق الجمال، وهي بلد الفن والجمال، واعتقد ان عددا كبيرا من الفرنسيين سيصوتون لشخصها وليس لانها اشتراكية او تحمل برنامجا اشتراكيا.

3 ـ بالطبع استطاعت سيفولين رويال ان تحقق انجازات كبيرة اثناء المهام التي كلفت بها، مما وفر انطباعا لدى البعض بان هذه المرأة تتمتع بحسن ادارة والأهم من هذا وذاك، انها تطرح حلولا عملية لمشاكل معقدة.

4 ـ ابتعدت سيفولين رويال عن الخصومات المتنازعة داخل تيارات الحزب الاشتراكي، والانقسامات الحاصلة داخله، وهي لحد الان ابعدت نفسها عن مثل هذه المهاترات، مما سيكسبها نقاطا ايجابية اخرى في حال ترشحها لرئاسة الجمهورية.

5 ـ ستحصل على دعم نسائي كبير وخاصة ان النساء الفرنسيات سيصوتن لها لانها ستكون فرصتهن المناسبة للانتقام من الرجال من خلال هذا المنصب الحساس جدا.

على جميع الاحوال، ليس من المستبعد جدا ان تحدث هذه المرأة مفاجأة سياسية في حال ترشحها للانتخابات الرئاسية، بل ستكون اول امرأة بحق وحقيق في تاريخ الجمهورية الخامسة تتحدى هذا السبق الرئاسي المقتصر على الرجال وستحدث مفاجأة على مستوى النتائج، رغم انني لا اتوقع ان تصبح رئيسة، ولكنها ستحطم العامل النفسي وستكون اول امرأة فرنسية ستحصل على نتائج انتخابية معتبرة بعكس ارليت لاغيير التي ترشح نفسها كل مرة عن حزب النضال العمالي ولكن بدون نتائج معتبرة حيث نسبة التصويت لصالحها لا تتجاوز سبعة بالمئة من عدد المصوتين.

فهل ستحصل سيفولين (الملكية) على اصوات معتبرة تشجع بقية النساء الفرنسيات مستقبلا على خوض هذا المعترك الرئاسي؟

* رئيس مركز دراسات الحياة السياسية السورية في باريس

الحكومة الالكترونية المغربية المرتقبة!

عمر الفاتحي*

■ شيئ جميل أن يتم رصد مبلغ مليار درهم في إطار مبادرة التنمية البشرية لدعم المعلوميات وربط المدارس بالانترنت و«رقمنة» عدد من الوثائق الإدارية سعيا الى تحقيق ما سمي بـ«الحكومة الالكترونية». حاليا أغلب الوزارات والمصالح الحكومية وحتى الوزراء أنفسهم يتوفرون على بريد إلكتروني خاص بهم. لكن عمليا هذا البريد إما أن المرسلات التي تبعث بواسطته لا يرد عليها نهائيا «لأنها ليست ورقية» أو أن هذا البريد معطل نهائيا!

ـ فوزير الإتصال الناطق الرسمي بإسم الحكومة لا يرد حتى حينما يتعلق الأمر ببريده الشخصي!

ـ ووزير الشؤون الثقافية لا يرد حتى لو تعلق الأمر بمنظمة ثقافية دولية عربية ترغب في فتح فرع لها بالمغرب، بل الأدهى من ذلك، أنه حين تم الإتصال بالمصالح المختصة بوزارته قيل لمثل المنظمة المذكورة أنه ليس هناك أية رسالة وردت بالبريد الالكتروني رغم أنه تقنيا يمكن إثبات أن هذه المصالح توصلت بها. وما ينطبق على هاتين الوزارتين ينطبق كذلك على المدراء العامين للشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة والقناة التلفزية الثانية «الدوزيم»!!

الأمر بطبيعة الحال يتعلق بمراسلات ذات طابع ثقافي وإعلامي وفني، فكيف سيكون عليه الحال لو تعلق الأمر بقضايا تهم المواطن العادي في حياته اليومية أثناء تردده على المصالح الإدارية المختلفة؟ لقد علق بعض الظرفاء على ذلك أن على الوزراء في الحكومة المغربية أخذ دروس أولية في كيفية الإشتغال على الانترنت واستعمال البريد الالكتروني في تعاملهم الإداري مع المواطنين.

حاليا يشهد المغرب سيلا من التشريعات الموضوعية والإج